

## مَعْرَكَةُ الْيَرْمُوكِ خَطْوَةٌ حَاسِمَةٌ فِي فَكِّ الْحِصَارِ الرَّومَانِيِّ عَلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ \*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين  
وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد :

فإن معارك المسلمين مع الرومان في أصقاع الشام، بما فيه الأردن  
وسوريا وفلسطين، كانت عديدة، ولكن فاتحتها كانت معركة اليرموك التي  
وقعت في شهر جمادى الآخرة من السنة الثالثة عشرة للهجرة، والتي تعتبر  
خطوة حاسمة في فك الحصار العسكري والاقتصادي الذي ضربه الرومان  
البيزنطيون على الجزيرة العربية ردحاً من الزمن.

وتعود بداية احتلال الروم للشام وماجاورها إلى ما قبل الميلاد، ولكن  
احتلالهم الفعلي المباشر، والذي أضرب بالجزيرة العربية، يعود إلى منتصف  
القرن الثاني للميلاد، عندما أطاحوا بدولة الأنباط العربية وسيطروا على  
منافذ التجارة البرية والبحرية فيها، الأمر الذي أدى إلى تدهور أحوال

---

(٥) قدم هذا البحث للندوة الثالثة لتاريخ الجزيرة العربية التي دعت إليها جامعة الملك سعود في أواخر عام  
١٤٠٣ هـ بالرياض.

الجزيرة العربية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وجعلها تعيش في عزلة رهيبة ولعدة قرون.

وبعد أن كان العرب أساطين التجارة العالمية، وفرسان ميدانها وحُماة قوافلها، أضحوا أحلاف أرضهم وأحلاس أوطانهم، إلّا من ركب أهوال الارتحال والتجوال، وتحمل عناء الهجرة والاعتراب، فقد نزح إما إلى الشام وإما إلى العراق، ليلتحق بأحد المعسكرين إما الفرس وإما الروم.

وهكذا ظلت الجزيرة العربية رازحةً تحت نير ذئتك العملاقين المخيفين المتصارعين على المنطقة ومسالكها البرية والبحرية، لاقوة ترعى أوطانها، ولا دولة تحمى أركانها، إذ لم يكن هناك بعد سقوط دولة الأنباط غير دولة الغساسنة في الشام، وكانت صنيعة الرومان البيزنطيين، ودولة المناذرة في العراق، وكانت صنيعة الفرس الساسانيين، أما جنوب الجزيرة العربية فكان تارةً تحت نير الاستعمار الحبشي الروماني، وأخرى تحت نير الاستعمار المجوسي الفارسي.

## (أحداث ما قبل اليرموك)

وقبل الحديث عن معركة اليرموك التي مهّدت لها منقذ الإنسانية ومحررها من ظلم الجبارة وعسف المتكبرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، يجدر بي أن أشير - ولو بإيجاز - إلى ماسبقها من أحداث متعلقة بها، وموصولة إليها، فقبل ستة أعوام من وقوع معركة اليرموك، وبالتحديد في السنة السابعة للهجرة والموافقة لسنة ٦٢٩ للميلاد، وبينما كان قيصر الروم هرقل (٦٢٨م) في طريقه إلى فلسطين ليعيد إليها الصليب المقدس الذي استعادته من الفرس الساسانيين بعد عودته من غزوهم مظفراً وبينما كان في أوج

خيلائه وسكرة انتصاره، جاءه خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: «أما بعد أسلم تسلم يؤتلك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين»، واليريسيون كما قال الطحاوي في الجزء الثاني من كتابه (مشكل الآثار) هم رهط هرقل الذين كانوا يعارضون غيرهم من النصاري في دعواهم ربوبية عيسى عليه السلام.

ولم يذكر التاريخ أن هرقلًا قد أجاب على الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن الردّ جاء من قبل حليف الرومان شرحبيل عمرو الغساني الذي بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم هو الآخر خطاباً مع الحارث بن عمرو الأزدي، فكان ردّه أن أوثق الحارث رباطاً ثم قتله، فكان جواب النبي صلى الله عليه وسلم تجهيز جيش من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة زيد ابن حارثه، سار في جمادي الأول من السنة الثامنة للهجرة أكثر من ألف كيلو متر شمالاً حتى تجاوز (معان) وبلغ مؤتة على سفوح البلقان، وهناك التحم مع جيش هرقل الكشيف البالغ مائة ألف مقاتل، وأسفرت المعركة عن استشهاد زيد بن حارثة، ومن بعده جعفر بن أبي طالب، ومن بعده عبد الله بن رواحة، ثم تولّى القيادة خالد بن الوليد الذي تمكن من إنقاذ الجيش الإسلامي من جحافل الرومان بتدابير عسكرية اتخذها.

وظل النبي صلى الله عليه وسلم يفكر في غزو الروم وحلفائهم وكسر شوكتهم ورد إهانتهم، وإبطال ما كان عالقاً في أذهان العرب من أن الروم دولة لا تقهر، وفي رجب من السنة التاسعة جهّز جيشاً من عشرة آلاف مقاتل واتجه به إلى تبوك المتاخمة لحدود الروم، ولم يشأ الروم أن يدخلوا معه المعركة، فعاد دون قتال بعد أن حقق مكاسب عديدة، منها إرهاب الروم والتمهيد لقتالهم في المستقبل، وافهام العرب الوثنية منها والمنصرة أهمية دين الإسلام وجدديته، كما حقق مجيء رؤية صاحب أيلة وأهل جرباء وأذرح ومصالحتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على دفع الجزية، كما حقق أسر الأكيدر نصير الروم في دومة الجندل ومصالحته على الجزية أيضاً.

وفي نهاية السنة العاشرة عزم رسول الله صل الله عليه وسلم على حج بيت الله الحرام فيما سُمّي بحجة البلاغ أو حجة الوداع، وسار من المدينة لخمسين بقين من ذي القعدة، وسار معه مالا يحصى من الخلق، وعاد من بيت الله الحرام لينفذ ما هو عازم به ومصمم عليه من مناجزة الروم القتال بأكبر قوة وأضحخم جيش، فجهّز جيش أسامة بن زيد إلى الشام وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والدارون من أرض فلسطين، ودعى كبار الصحابة للاشتراك في هذه الحملة، ولكن أجله وافاه قبل تحرك الجيش من نقطة تجُمعه بـ(الجرف) شمال المدينة، فكان أول عمل عمله أبو بكر في خلافته انفاذ جيش أسامة.

هذه باختصار الأحداث السابقة لمعركة اليرموك والمهدة لها، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على ما ذكرنا آنفاً من تصميم النبي صلى الله عليه وسلم على إزاحة الكابوس الروماني ثم من بعده الفارسي الرابضين على أسوار الجزيرة العربية، وفتح منافذ جديدة لإبلاغ الناس كافةً بدين الإسلام الذي رضي به الله تعالى ديناً لكافة البشر، قال الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً... سورة سبأ الآية).

وتجلى هذا الاهتمام الشريف في عزم وتصميم أبي بكر رضي الله عنه من أول يوم ولي فيه الخلافة، على إنفاذ جيش أسامة، ثم الجيوش الأربعة الأخرى من بعده، فكانت معركة اليرموك، وكان الفتح العظيم لدمشق، وإنقاذ جيش خالد والمشني إلى العراق فكانت معركة القادسية ثم فتح المدائن المظفر.